جامعة الأزهر فرع أسيوط
مجلة كلية البنات الإسلامية
المجلـة العلميـة

مظاهر تأثر صنعة الكلام بالصناعات العملية فى التراث البلاغى والنقدى

إعداد

د/رمضان عاشورأبوزيد

المدرس بقسم االبلاغة والنقد
كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الخامس عشر- الجزء الأول: ٢٠١٦م)

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بجرجا

قسم البلاغة والنقد

بحث بعنوان

مظاهر تأثر صنعة الكلام بالصناعات العملية فى التراث البلاغى والنقدى

إعداد

د/ رمضان عاشورأبوزيد

المد رس فى قسم البلاغة والنقد

الحمد لله الذى شرف العربية بأن جعلها خير لسان، وكرمها فجعلها لغة للقرآن، وفضل الأمة الإسلامية فجعلها خير أمة أخرجت للناس، فكانت أمة ذات حضارة، وصاحبة مجد، وخلفت تراثا حق لأبنائها أن يفخروا ويفاخروا به، وأصلى وأسلم على خير نبي بعث إلى هذه الأمة بلسانها العربى، فكان هو سيد البلغاء وأفصحهم، صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والمتبعين لهديه، المتمسكين بسنته إلى يوم الدين .

وبعد

فإن التراث العربى على وجه العموم، والبلاغى والنقدى على وجه الخصوص مازال محتاجا إلى البحث والتنقيب لاستخراج كنوزه الدفينة، وجواهره المكنونة، ولآلئه المصونة المختبئة وراء إشارات العلماء، وسطورهم، ونصوصهم، ولا يغرنك تلك الداعوات الهدامة، والأفكار الضالة، الضعيفة الرأى، الحقيرة الشأن التى تربت على موائد الغرب وأفكارهم، ولم تترب على أفكار بيوتاتهم العربية، دعك من هؤلاء الذين يظهرون من حين إلى آخر فى محاولات فاشلة يحاولون بها هد م صروح علت وشيدت، واستقر بناؤها، لأنها شيدت على عقول فكرت، وأذهان أبدعت، وعيون أبصرت، وبصائر نورت.

إن هذه الدعوات الفاشلة التى تتخذ من مصطلحات الحضارة والمدنية وسائل إغراء لأبناء العربية ليلحقوا بركبها، لن تثنى أبناء العربية عن المضى قدما فى خدمة هذا التراث والتعبد في محرابه، مهما ادعت من أن دراسة هذا التراث ما هو إلا رجوع إلى الخلف، وانحراف عن قضبان الحضارة، إن هؤلاء يعلمون جيدا أن قطع الأمة العربية عن تراثها هو السبيل الوحيد لهدم أجيال هذه الأمة، فهدفهم هو خلق جيل متجرد من الفكر والعز والفخر، ليس له جذور

ثابتة ينتمى إليها، أو أصول متينة يعتمد عليها، بل يريدون جيلا كالدمية فى يد الطفل لا تملك من أمرها شيئا، ولا تتحرك بإرادتها بل تتحرك كما يريدون، لأنها لم تترب على مبادئها، وأخلاقياتها، وتراثها، وإنما تربت على أخلاق وأفكار الآخرين.

ففى وسط هذه الداعوات نحتاج جيلا متمسكا بتراثه، متحديا هذه الأفكار، متبنيا الرد من خلال كتب التراث نفسها، ومن خلال الدراسات الجادة التى تحاول أن تستجلى ما فى كتب التراث العربى من قضايا، تظهر من خلالها عظمة هذا التراث، وعظمة الفكر الذى أبدعه، وذلك من خلال التأنى فى الوقوف على إشارات العلماء، واستنطاق عباراتهم ونصوصهم، وبيان طريقة تفكيرهم، والأدوات والطرق التى كانوا يستخدمونها فى إيضاح هذا الفكر، والتأثيرات التى شكلت هذا الفكر، والمظاهر الحياتية من حولهم التى وظفوها لخدمة فكرهم وعلومهم، ومن القضايا التى تظهر ذلك في التراث البلاغى والنقدى قضية العلاقة بين صنعة الكلام وغيرها من الصناعات العملية، فمن الشائع فى تراثنا البلاغى والنقدى استخدام العلماء مقاييس الصناعات العملية وألفاظها ومصطلحاتها وصورها لإيضاح أفكارهم ومواقفهم النقدية تجاه صنعة الكلام، وهو مما يلفت النظر ويغرى الباحث بالتنقيب والبحث وراء هذه الظاهرة الشائعة والمتوارثة بين العلماء بداية من الجاحظ ومرورا بمن جاء بعده من العلماء والنقاد حتى وصل الأمر إلى الإمام عبد القاهر فاتسع الأمر وأصبح واسع النطاق، وأكثر الإمام من استخدام صور الصناعات، وتنوعت عنده هذه الصور حتى شملت معظم الصناعات العملية التى كانت سائدة فى عصره، ثم جاء المتأخرون واستقرت المصطلحات البلاغية، فوجدنا تأثرا كبيرا في

المصطلحات البلاغية –وخاصة الفنون البديعية – بمصطلحات الصناعات العملية، والسر فى هذا التأثر هو أن علماء البلاغة والنقد كانوا يعدون الكلام صنعة مثله مثل سائر الصناعات، ولما كانت هذه نظرتهم إلى صنعة الكلام كان لابد أن تتأثر صنعة الكلام بهذه الصناعات فى مقاييسها النقدية وصورها، وألفاظها، ومصطلحاتها، فقد نقلوا مقاييس هذه الصناعات النقدية وطبقوها على صنعة الكلام، وكذلك استعاروا بعض الألفاظ الخاصة بالصناعات ونقلوها إلى صنعة الكلام وجعلوها أحكاما نقدية فقالوا : جيد السبك ، حسن السبك ، صحة السبك ، سلامة النسج ، هلهلة النسج ، جمال الصياغة ، حسن الصياغة ، دقة التصوير ،إلى غير ذلك من الأحكام النقدية التى أضيفت إلى الألفاظ الصناعية،وكذلك نقل البلاغيون المصطلحات الخاصة بهذه الصناعات وحولوها إلى مصطلحات بلاغية مراعين أوجه التشابه بين دلالة المصطلح كفن بلاغى ودلالته فى صناعته الأصلية، وذلك مثل مصطلح الاحتباك – والتطريز، والتسهيم، والمرفو، والسلخ وغيرها من المصطلحات، ومن هنا جاء هذا البحث ليحدد مظاهر تأثر صنعة الكلام بهذه الصناعات فجاء عنوانه : (مظاهر تأثر صنعة الكلام بالصناعات العملية فى التراث البلاغى والنقدى) ، وقد آثرت استخدام مصطلح الصناعات العملية فى عنوان البحث بدلا من الصناعات المهنية،أو غير ذلك من البدائل اللغوية المتاحة، اقتداءً بالإمام عبد القاهر الذى أطلق عليها ذلك فى قوله" : وإنا لنراهم يقيسون الكلام فى معنى

المعارضة على الأعمال الصناعية كنسج الديباج، وصوغ الشنْف والسوار وأنواع ما يصاغ وكل ماهو صنعة وعمل يد"[1]

وقد اقتضت طبيعة المنهج فى هذا البحث أن يرصد مظاهر هذا التأثر، واضعة كل مظهر من المظاهر فى دراسة مستقلة، ترصد أقوال العلماء،وتستنطق إشاراتهم وعباراتهم ونصوصهم متتبعة صور الصناعات التى استخدموها وألفاظها، ومصطلحاتها، مع بيان كيفية توظيفها لخدمة صنعة الكلام، وكيف كانت هى وسيلة من وسائل إيضاح أفكارهم ومواقفهم النقدية والبلاغية، ثم الكشف عن مقاصدهم وأهدافهم ومراداتهم عند استخدامهم لهذه الصور والألفاظ والمصطلحات الخاصة بالصناعات العملية، مع بيان أوجه التشابه بين صنعة الكلام، وبين الصنعة العملية التى نقلت عنها الصورة، أو اللفظ، أو المصطلح.

هذا وقد تطلبت الداسة فى هذا البحث أن يأتى فى مقدمة، وأربعة مظاهر، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة:

وفيها بيان لأهمية العودة إلى كتب التراث، واستخراج ما فيها من قضايا نقدية وبلاغية ، مع بيان أهمية البحث، ومنهجه، وخطة السير فيه.

المظهر الأول:

---

(١) دلائل الإعجاز،تأليف، أبوبكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى، تح،محمود محمد شاكر ٢٦١/١،مطبعة المدنى بالقاهرة–دار المدنى بجدة،الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

نقل المقاييس النقدية من الصناعات العملية إلى صنعة الكلام.

المظهر الثانى:

استعارة الألفاظ الخاصة بالصناعات العملية لصنعة الكلام.

المظهر الثالث:

تحويل بعض المصطلحات الخاصة بالصناعات العملية إلى مصطلحات بلاغية

المظهر الرابع:

تأثير الصنعة العملية فى صناعة الصور والتشبيهات.

الخاتمة:

وفيها إجمال لأهم النتائج التى رصدها البحث، يعقبها فهرس كاشف عن موضوعات البحث، يليه فهرس لمصادر البحث ومراجعة، يسدل به الستار، ويختم به البحث

المظهر الأول

نقل المقاييس النقدية العامة من الصناعات العملية إلى صنعة الكلام

من مظاهر تأثر صنعة الكلام بغيرها من الصناعات العملية فى تراثنا البلاغى والنقدى أنك تجد علماء البلاغة والنقد ينقلون المقاييس العامة التى تحكم جودة الصناعات أو رداءتها إلى صنعة الكلام، ويجعلونها مقاييس نقدية يقيسون عليها جودته أو رداءته، فالمتكلم عندهم كالصانع فهو إما حاذق مجود فى صنعته أو بخلاف ذلك.

والمطلع على هذا التراث يجد ذلك شائعا عندهم، فقد كان هذا أسلوبا من أساليبهم فى إيضاح أفكارهم وأحكامهم ومواقفهم النقدية تجاه صنعة الكلام، لأنهم كانوا يعدون الكلام صنعة مثله مثل سائر الصناعات العملية، وبالتالى فإنه يحكمه ما يحكم هذه الصناعات من مقاييس الجودة والرداءة، ومن هنا تأثرت صنعة الكلام فى مقاييسها النقدية بالأحكام العامة التى تجرى فى باب الصناعات العملية، وهذا ما ستكشف عنه الصفحات التالية التى تتبع أحكام العلماء البلاغية والنقدية، وتبين كيف كانوا يقيسون الكلام شعره ونثره على الصناعات الأخرى .

أولا: مقياس التلاؤم والتناسب:

التناسب والتلاؤم من المقاييس العامة التى تحكم جودة الصناعات العملية كصناعة الذهب والفضة والجواهر والنسج،وقد تحدث علماء البلاغة والنقد عن وجوب التآلف والتناسب بين أجزاء الكلام الواحد،واتخذوا من

الصناعات العملية ذات الأجزاء التى تحتاج إلى إحداث التلاؤم بين أجزائها مقياسا يقيسون عليه صنعة الكلام،فتجد الجاحظ يطلق هذه العبارة المشهورة والمتداولة بين علماء البلاغة والنقد، والتى تجعل الشعر صناعة مثله مثل سائر الصناعات العملية، وذلك فى قوله" : إنما الشعر صياغة(١)، وضرب من النسج، وجنس من التصوير" (٢) من أجل ذلك عد الجاحظ من الرواد المطلقين للشرارات الأولى فى فكرة قياس صنعة الشعر على وجه الخصوص والكلام على وجه العموم على الصناعات العملية، وتطبيق الأحكام والمقاييس التى تحكم هذه الصناعات على صنعة الكلام.

فالجاحظ عندما أراد أن يقيس صنعة الكلام على الصناعات العملية اختار ثلاث صناعات، هى صناعة الصياغة الخاصة بالمعادن، وصناعة النسج الخاصة بالخياطة، وصناعة التصوير الخاصة بالشكل، وهى صناعات مختلفة كاختلاف الشعر عنها، إلا أنها تحكمها مقاييس مشتركة، وهى ما تتطلبه كل صنعة من تلاحم الأجزاء وتناسقها والتأليف بينها على وجه مخصوص مع الإحكام والإتقان.

---

(١) وردت هذه اللفظة فى بعض النسخ (صناعة) وبعضها (صياغة) إلا أن الأولى والأقرب للصواب والنسق(صياغة)والدليل على ذلك أن الإمام عبد القاهر نقلها هكذا عن الجاحظ فى دلائله.

(٢) الحيوان، تأليف عمرو بن بحر بن محبوب الكنائى بالولاء، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ٦٧/٣دار الكتب العلمية بيروت

فالملاحظ أن الجاحظ قد اختار صناعات فيها تركيب وضم وتأليف وتنسيق وتحتاج إلى إحداث التلاؤم والتناسب بين العناصر المتفاوتة، والأجزاء المتباينة، وهذا هو وجه التشابه بين الشعر وهذه الصناعات التى ذكرها، فالجاحظ يطلب من الشاعر أن يراعى ما يراعيه الصائغ فى صنعته،والنساج فى نسجه،والمصور فى صورته من إحداث الانسجام والتناسب بين أجزاء المصنوع ،وذلك للتشابه بين صنعة الشعر وهذه الصناعات العملية،ولذا تجد الإمام عبد القاهر يفصح عن هذا الوجه من التشابه بين صنعة الكلام وبين مثل هذه الصناعات العملية التى ذكرها الجاحظ، والتى تحتاج إلى الضم والتأليف والتناسب بين الأجزاء، فيقول": وليس هو النظم الذى معناه ضم الشئ إلى الشئ كيف جاء واتفق، ولذا كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حيث يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضى كونه هنا، وحتى لو وضع مكان غيره لم يصلح"(١)

فالإمام عبد القاهر فى هذا النص كأنه يكشف لنا ويبين العلة فى اختيار الجاحظ لهذه الصناعات الثلاث التى اختارها ليقيس عليها صنعة الشعر، فهى صناعات يراعى فيها وضع الأجزاء بعضها مع بعض،بحيث يكون لوضع كل جزء فى مكانه علة تقتضى وضعه فى ذلك المكان، وهذا هو وجه التشابه بين صنعة الكلام وأمثال هذه الصناعات.

---

(١) دلائل الإعجاز ٤٩/١

وفى هذا المقياس نفسه تجد الإمام عبد القاهر يتخذ من صورة الصائغ مقياسا يقيس عليه الناظم للكلام، فهو يجعل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها فى بعض حتى تصير قطعة واحدة (١)

ويتخذ الإمام من بيت بشار" : كأن مثار النقع فوق رؤسنا & وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (٢) مثالاً للكلام الذى أذيب بعضه فى بعض، ويجعل بشارا فى صنيعه هذا كصانع الذهب الذى أذاب قطعا من الذهب، وصبها فى قالب ثم أخرجها فى قطعة واحدة فصارت " كالحلقة المفرغة التى لا تقبل التقسيم، ورأيته قد صنع فى الكلم التى فيه ما يصنعه الصانع حين يأخذ كسراً من الذهب فيذيبها، ثم يصبها فى قالب ويخرجها لك سوارا أو خلخالا، وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت من بعض كنت كمن يكسر الحلقة، ويفصم السوار، وذلك أنه لم يرد أن يشبه النقع بالليل على حدة، والأسياف بالكواكب على حدة، ولكنه أراد أن يشبه النقع والأسياف تجول فيه بالليل فى حال ما تنكدر الكواكب، وتتهاوى فيه، فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد" (٣)

هكذا كانت عبارة الجاحظ وإشارته الموجزة بمثابة الباب الذى فتح أمام علماء البلاغة والنقد ليتوسعوا بعد ذلك فى قياس صنعة الكلام وجودته على

---

(١) ينظرالدلائل ٤١٢،٤١٣

(٢) ديوان بشاربن برد،جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ٣٣٥/١ طبعة وزارة الثقافة بالجزائر ٢٠٠٧م

(٣) الدلائل ٤١٤/١

الصناعات العملية، فبعد أن كان الأمر مقصورًا عند الجاحظ على الشعر أصبح بعده شاملا للكلام شعره ونثره، وبعد أن كان محصورا فى صناعات ثلاث اتسع ليشمل معظم الصناعات التى تتشابه فى أحكامها ومقاييسها مع صنعة الكلام.

ثانيا: مقياس الإحكام والإتقان:

إحكام الصنعة وإتقاتها وتجويدها من المقاييس التى تحكم جودة الصناعات العملية،والتخلى عن هذه المقياس يؤدى إلى الحكم برداءة الصنعة،ولما كانت صنعة الكلام لا بد فيها من توافر هذا المقياس قاس علماء البلاغة والنقد صنعة الكلام على الصنعة العملية فى هذا الأمر،وتأثرت صنعة الكلام بالصناعات الأخرى فى تطبيق هذا المقياس،فقدامة ابن جعفر وهو ممن تأثروا بالجاحظ،حيث يجعل الشعر صناعة يحكمه ما يحكم سائر الصناعات من المقاييس والأحكام النقدية العامة،، ثم يقيس صناعة الشعر على غيره من الصناعات والمهن، ويجعل الغاية من كل صناعة طرفين : غاية الجودة، وغاية الرداءة" وحدود بينهما تسمى الوسائط، وكان كل قاصد لشئ من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجود، فإن كان معه من القوة فى الصناعة ما يبلغه إياه سمى حاذقا تام الحذق، وإن قصر عن ذلك نزل له اسم بحسب الموضع الذى يبلغه فى القرب من تلك الغاية، والبعد عنها، كان الشعر – أيضا – إذا كان جاريا على سبيل سائر الصناعات، مقصودًا فيه وفى ما يحاك ويؤلف منه إلى غاية

التجويد، فكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته" (١)

فقدامة بن جعفر يرى أن الشعر صناعة مثله مثل سائر الصناعات البشرية، تحكمه المقاييس العامة التى تحكم كل صناعة، من حيث الجودة والرداءة، والشاعر عنده مثل الصانع، إن كان ماهرا فى صنعته، قويامعه الإمكانات والقدرات التى تؤهله لأن يصل بشعره إلى الطرف الأول، وهو طرف الجودة سمى شاعراً حاذقا، تام الحذق.

وهذه الأوصاف التى استخدمها قدامة فى وصف الشاعر المجيد هى أوصاف – أيضا – منبعثة من أوصاف أصحاب الصناعات والمهن مما يدل على أن أثر الصناعات العملية فى التراث البلاغى والنقدى لم يقتصر على نقل الأوصاف الخاصة بالصناعات، بل تعدى الأمر ذلك إلى نقل الأوصاف الخاصة بالصانع نفسه، فالشاعر عند قدامة إما حاذق تام الحذق، وإما موصوف بوصف على حسب قربه من درجة الحذق والجودة وبعده عنها، أو موصوف بالعجز التام عن درجة التجويد.

وفى تطبيق مقياس الإحكام والإتقان من الصنعة العملية على صنعة الكلام تجد صورة البانى فى ذهن الإمام عبد القاهر لا تفارقه، وذلك عند حديثه عن الناظم، وبيان متطلبات النظم الجيد، فتجده يشبه الناظم فيما يجب أن يكون عليه من توخيه معانى النحو، وربطه بين أجزاء الكلام، وشدة ارتباط

(١) نقد الشعر، تأليف قدامة بن جعفر بن زياد البغدادى١/٤–مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة الأولى١٣٠٢

هذه الأجزاء بعضها ببعض بحال" البانى يضع بيمينه هنا فى حال ما يضع بيساره هناك، وفى حال ما يبصر مكان ثالث، ورابع يضعهما بعد الأولين"[١]

فالشبه بين الناظم الجيد والبانى الماهر هو الدقة والإحكام فى وضع كل جزئية من الجزئيات فى المكان الأليق بها بحيث يسد الخلل،وتحدث قوة الترابط بحيث لا تستطيع أن تفصل جزءا عن بقية الأجزاء،وذلك ناتج من مراعاة الدقة والإحكام والإتقان فى الصنعة.

وتتنوع صور الصناعات من موضع لآخر عند الإمام فتجده فى هذه المرة يشبه الناظم بالصباغ فى إحكام الصنعة وإتقانها، ويفضل النظم القائم على توخى معانى النحو ووجوهه وفروقه، والذى يفاضل بين البدائل، ويختار من بين الوجوه ما هو ألصق بالمعنى، وأبر رحما به عن غيره، ومثل صاحب هذا النظم مثل الصباغ" الذى تهدّى فى الأصباغ التى عمل منها الصورة والنقش فى ثوبه الذى نسج إلى ضرب من التخير والتدبر فى أنفس الأصباغ وفى مواضعها ومقاديرها وكيفية مزجة لها، وترتيبه إياها إلى مالم يتهدً إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب "[٢]

وإذا كان هذا هو الأمر بالنسبة للصباغ فى سر تفوقه على غيره" كذلك حال الشاعر فى توخيه معانى النحو ووجوهه التى علمت أنها محصول النظم"[٣]

---

(١) دلائل الإعجاز ٩٣/١

(٢) المصدر نفسه ٨٧/١،٨٨

(٣) المصدر السابق ٨٨/١

هكذاتجد الإمام يتخذ من صورة الصباغ وسيلة قياس وإيضاح وتقريب لفكره إلى الأذهان، وهو قياس يبين قوة العلاقة بين صنعة الكلام وغيرها من الصناعات العملية، ويبين – أيضا– أن صنعة الكلام يحكمها فى باب الجودة والرداءة ما يحكم غيرها من الصناعات.

ثالثا: مقياس الحسن والتزيين وجمال الصورة:

من المقاييس العامة التى تحكم جودة الصناعات العملية مقياس الحسن والتزيين وتجميل الصورة،وقد نقل علماء البلاغة والنقد هذا المقياس من الصناعات العملية وطبقوه على صنعة الكلام،فتجد ابن طباطا الذى كان متأثرا بفكرة قياس صنعة الكلام على الصناعات العملية، والذى وجدنا عنده تطورا وتوسعا فى هذا القياس بإدخال صور من الصناعات لم تكن عند سابقيه،تجده يجعل الشاعرالذى يجهد نفسه ويتأنى فى اختيار صوره،وتحسين عمله "كالنساج الحاذق الذي يفوف وشيه بأحسن التفويف ويسدّيه وينيره، ولا يهلهل شيئا منه فيشينه، وكالنقاش الرقيق الذى يضع الأصباغ فى أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه فى العيان، وكناظم الجوهر الذى يؤلف بين النفيس منها، والثمين الرائق، ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها فى نظمها وتنسيقها، وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتى فيه الكلام البدوى الفصيح لم يخلط به الحضرى المولد، وإذا أتى بلفظة غريبة تبعها أخواتها" [1]

(١) عيار الشعر لابن طباطبا محمد أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسن العلوى، أبو الحسن، تح/عبد العزيز بن ناصر المانع ٨/١ –مكتبة الخانجي –القاهرة

والملاحظ على ابن طباطبا أنه اختار أصحاب مهن ثلاث، النساج، والنقاش، وناظم الجوهر.

وسر اختبار ابن طباطبا لأصحاب هذه الصناعات الثلاث– دون غيرهم_ هو أن صنعتهم فيها مجال للتزيين والتحسين،وفيها تنافس فى إخراج الأعمال على أحسن الصور وأجملها،فابن طباطبا وإن كان يتحدث عن الشاعر الذى يناسب بين الألفاظ والألفاظ،وبين الألفاظ والمعانى،والذى يختار للمعنى القافية التى تناسبه، فإنه لا يقصد مجرد تناسب وتآلف بين أجزاء المصنوع،وإنما يقصدالوصول إلى درجة الجمال والحسن فى هذا العمل.

ولما كان مقصود ابن طباطبا هو الشاعر الذى يكد ويجتهد ويتعب نفسه فى التنسيق والاختيار والانتقاء حتى يصل إلى أعلى درجة من الحسن والجمال لم يكتف بأن يشبه الشاعر بالنساج الحاذق فقط، أو النقاش الرقيق، أو ناظم الجواهر، بل أتبع كلًا منهم بصفات تدل على إجهاد النفس، وبذل الجهد فى الوصول إلى أعلى درجات الحسن والجمال فى العمل الفنى.

فقد وصف النساج بالحاذق الذى يفوف وشيه بأحسن التفويف،و يسدّيه، وينيره، ولا يهلهل شيئًا منه فيشينه،ووصف النقاش بالرقيق الذى يضع الأصباغ فى أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه فى العيان،ووصف ناظم الجوهر بالذى يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق، ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها فى نظمها وتنسيقها.

فهذه الصفات التى أتبع بها ابن طباطبا كلا من النساج والنقاش وناظم الجوهر كلها صفات تختص بتحسين الصورة وتزيينها والوصول بها إلى أعلى درجات الجمال.

هكذا فإن الصور الصناعية لا تفارق خيال ابن طباطبا فى عمل الشعر " فالشاعر تارة كالنساج الحاذق، وتارة كالنقاش الرقيق، وتارة هو كناظم الجوهر يؤلف بين النفيس الرائق ولا يشين عقوده برص الجواهر المتفاوتة نظما وتنسيقا، ومن ثم تصور ابن طباطبا الوحدة فى العمل الفنى كالسبيكة المفرغة من جميع أصناف المعادن، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا لا تناقض فى معانيها،ولا وهى فى مبانيها، ولا تكلف فى نسجها"[١] إن ابن طباطبا بقياسه صنعة الشعر على هذه الصناعات الثلاث يربط" بين التصوير الأدبى وبين فنون التصوير الأخرى المحسة من نسج ونقش وصوغ، ليوضح أن هذه الصناعة من تلك، إذاً فالصورة الأدبية عنده كالنسج والنقش والصوغ،وبهذا المفهوم وتلك الموازنة تأثر عبد القاهر فيما بعد "[٢]

رابعا: مقياس دقة الفكر ولطف النظر:

ترتفع الصنعة العملية وتعلو قيمتها، ويرتفع ثمنها بمدى احتياجها إلى دقة الفكر ولطف النظر،فبقدر احتياج الصنعة إلى ذلك تقدر قيمتها،ويندر وجودها،كذلك فإن فى صنعة الكلام ما يحتاج إلى دقة الفكر وعمق النظر أكثر من غيره،ولما كان سبيل الكلام فى هذا الأمر هو سبيل الصناعات العملية وجدنا الإمام عبد القاهر بعبقريته النادرة يقيس صنعة الكلام على الصناعات العملية فى هذا الأمر، فيظهر جليا فى باب التمثيل مدى إدراك الإمام عبد

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب، تأليف دكتور/ إحسان عباس ١٣٨، الناشر، دار الثقافة بيروت – لبنان الطبعة الرابعة١٩٨٣.

(٢) فى النقد الأدبى،تأليف على مصطفى صبح،١٦٤،١٦٥(بدون طبعة

القاهر شدة العلاقة وقوتها بين صنعة الكلام والصناعات العملية، فقد بين أن الأحكام والمقاييس التى تحكم جودة الصناعات هى نفسها التى تحكم جودة الكلام، فما"شرفت صنعة ولا ذ كر بالفضيلة عمل إلا لأنهما يحتاجان من دقة الفكر، ولطف النظر، ونفاذ الخاطر إلى مالا يحتاج إليه غيرهما ...وذلك بين لك فيما تراه من الصناعات وسائر الأعمال التى تنسب إلى الدقة، فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافاً فى الشكل والهيئة ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم، والائتلاف أبين كان شأنها أعجب، والحذ ق لمصورها أوجب "(١)

ويقيس الإمام عبد القاهر حال التمثيل وأمره على حال الصناعات فيقول:

"إذا كان هذا ثابتا موجوداً ومعلوماً معهوداً من حال الصور المصنوعة والأشكال المؤلفة فاعلم أنها القضية فى التمثيل"(٢) .

فالملاحظ هنا أن الإمام يأخذ من الصناعات العملية مقياساً يقيس عليه جودة التمثيل، وهو الاحتياج إلى دقة الفكر، ولطف النظر، ونفاذ الخاطر أكثر مما يحتاج إليه غيره، مع شدة التآلف والتلاؤم بين الأجزاء المتباعدة، فهذه المقاييس للجودة فى الصناعات هى– أيضا – مقاييس للجودة والتفاضل فى التمثيل، مما يبين ويكشف بقوة عن مدى الترابط والعلاقة بين صنعة الكلام والصناعات العملية.

---

(١) أسرار البلاغة١٤٨

(٢) المصدر نفسه١٤٨،١٤٩

خامسا: مقياس حسن الاختيار:

حسن اختيار المادة التى صنع منها الشئ مقياس للجودة والرداءة فى الصناعات العملية،وقد أخذ علماء البلاغة والنقد هذا المقياس وطبقوه على صنعة الكلام،وذلك لأنهم يعدون الكلام صنعة كسائر الصناعات.ولما كان ابن سنان كغيره من علماء البلاغة النقد يرى أن الكلام صناعة، و أنه طالما سلمنا بذلك فإنه يحكمه ما يحكم الصناعات، ويرى أن كل صناعة كمالها بخمسة أشياء، ويتخذ من صنعة النجارة مثلا يقيس عليه فكره فى ذلك، فالنجارة تحكمها خمسة أشياء كما بين، الموضوع وهو الخشب فى هذه الصنعة، والصانع وهو النجار، والصورة المصنوعة علي هيئة مخصوصة كالكرسى أو غيره،والآلة وهى المنشار والقدوم، وغيرها مما يستعمل فى هذه الصناعة،والغرض من الصناعة كالجلوس بالنسبة لصناعة الكرسى، فكما أن هذه الأشياء الخمسة لا تكمل الصنعة إلا بها، فكذلك الكلام كماله بخمسة أشياء هى المتكلم، والموضوع، والصورة التى يكون عليها الكلام، والآلة التى هى اللسان، والغرض الذى سيق من أجله الكلام، مدحًا كان، أو هجاءً أو رثاءً، أو وعظا إلى غير ذلك من الأغراض[1]

(١) ينظر سر الفصاحة،تأليف أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى،٩٣، ٩٤الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

استخدام ابن سنان صور الصناعات لتدعيم حجته

رد ابن سنان على من يدعى أن الناظم متى ألف لفظة رديئة فليس ذلك عيب عليه، ويقيس رده هذا على النجار الذى اختار موضوعه وهوالخشب رديئا، فيرى أن النجار يعاب إذا صنع كرسياً من خشب ردئ، يقول ابن سنان ردا على هذا الادعاء السابق" : وهذا الذى ذكره هذا القائل فاسد، وذلك أن النجار يعاب إذا كان قليل البصيرة بموضوع صناعته، ولو تمكن من عمل ذلك الكرسى الذى مثل به من خشب مرضى فعدل عنه إلى خشب ردئ جهلاً منه بالمختار من هذا الجنس كان معيباً عند أهل صناعته "(١)

ويذكر ابن سنان الحالة التى يمكن أن يعذر فيها النجار فى اختياره للخشب الردئ، ويقيس عليه الناظم الذى ألف لفظة رديئة فيقول": وإنما يتوجه إليه العذر إذا سلم إليه خشب ردئ لتظهر صناعته فيه، فإنه عند ذلك لا يعاب لأجل الخشب، أما اذا كان الاختيار عن جهل فهذا عيب بالنسبة للناظم كما هو عند النجار، فمتى عدل عن ذلك جهلاً أو تسمحاً توجه الإنكار واللوم عليه، وكان أهلا له وجديرا به" (٢)

فابن سنان يرى أنه" لا شبهة فى قبح صورة الكرسى المصنوع من ردئ الخشب، وإن كان النجار قد أحكم عمله "(٣)

---

(١) سر الفصاحة ٩٥

(٢) المصر نفسه ٩٥ (بتصرف

(٣) المصدر نفسه ٩٥

سادسا: مقياس حسن الصياغة

من مقاييس الصناعات العملية التى طبقت على صنعة الكلام حسن صياغة الشئ المصنوع وإعادته فى صورة أحسن مما كان عليها وقد أخذ علماؤنا هذا المقياس العملى وطبقوه على صنعة الكلام،فتجد صور الصناعات لا تفارق ذهن ابن طباطبا وذلك عند حديثه عن إعادة صياغة المعاني النثرية وتحويلها إلي شعر منظوم، فيشبه الشاعر الذى يأخذ المعنى اللطيف ويعيد صياغته، ويعرضه فى صورة جديدة بالصائغ الذى يذيب الذهب والفضة المصنوعين ويعيد صياغتهما وصنعتهما بأفضل مما كانا عليه، وبالصباغ الذى يعيد صباغة الثوب بلون وهيئة غير الذى كان عليهما، مما يجعل الأمر ملبسًا على الرائى بين المصنوع والمصبوغ، يقول ابن طباطبا متحدثا عن الشاعر المجيد فى تحويل المعانى وإعادة صياغتها" : وإن وجد المعنى اللطيف فى المنثور من الكلام وفى الخطب والرسائل، والأمثال فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن، ويكون ذلك كالصائغ الذى يذيب الذهب والفضة المصنوعين، فيعيد صياغتهما بأحسن مما كان عليه، وكالصباغ الذى يضع الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة، فإذا أبرز الصائغ ما صاغه فى غير الهيئة التى عهد عليها، وأظهر الصباغ ما صبغه على غير اللون الذى عهد قبل، التبس الأمر فى المصنوع والمصوغ على رائيهما، فكذلك المعانى وأخذها واستعمالها فى الأشعار على اختلاف فنون القول فيها "[1]

(١) عيار الشعر ١٢٦/١

وقد اختار ابن طباطبا هنا صنعتى الصباغ والصائغ،لما فيهما من تحويل المصنوع فى صورة غير التى كان عليها دون تغيير مادته، وهذا ما يتناسب مع أخذ المعانى وإعادة صياغتها وإظهارها فى صورة جديدة، فوجه الشبه بين الشاعر، والصائغ والصباغ هو اتحاد المادة مع اختلاف الصورة، وبراعة ومهارة الصنعة.

سابعا:مقياس التهيئة والتخلص من التعقيد:

من الصناعات العملية التى يظهر فيها هذا المقياس صنعة إصلاح الطريق، وصنعة ترويض المهر،فكل من الصنعتين تحتاج إلى التهيئة وتذليل العقبات والمعوقات التى تؤدى إلى التعقيد،فصانع الطريق يصلحه ويزيل عنه مايعيق حركة السير، ويقيم عليه الأنوار حتى يصبح السير فيه سهلا يسيرا،وكذلك مروض المهر يحتاج إلى أن يحول الفرس الجامح إلى لين سهل الانقياد،وقد أدرك الإمام عبد القاهر ماتتطلبه الصنعتان،وقاس عليهما صنعة الكلام فهو يبين مدى الجهد الذى يقدمه الملخص للكلام، وذلك فى بيان الفرق بين المعقد من الشعر والكلام، وبين الواضح منه، فيشبه الموضح للفكر بصانع الطريق الذى يصلح الطريق، ويزيل عنه الاعوجاج والصعوبات التى تعترض السائر، وينيره حتى لا يضل السائرون فيه، أو يتعرضوا للهلاك، فالموضح للكلام والفكر الدقيق" يفتح لفكرتك الطريق المستوى ويمهده، وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار، وأوقد فيه الأنوار، حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته،وتقطعه قطع الواثق بالنجح فى طيته"(١)

(١) أسرار البلاغة١٤٧

ولم تكن صنعة ترويض المهر غائبة عن ذهن الإمام عند قياسه جودة الكلام على جودة الصناعات فتجده يشبه البحترى فى تسهيله للمعانى الدقيقة، وتقريبها، ورده البعيد إلى المألوف القريب بالذى" يروض لك المهر الأرن رياضة الماهر، حتى يُعِنق من تحتك إعناق القارح المذلَلِ، وينزع من شماس الصعب الجامح، حتى يلين لك لين المنقاد الطيع "[1]

هكذا يكثر الإمام عبد القاهر من إيضاح أفكاره مستخدما صور الصناعات المختلفة وسيلة لذلك، مما يدل على مدى العلاقة القوية بين صنعة الكلام وغيرها من الصناعات، ويظهر تأثر صنعة الكلام بالقوانين والأحكام العامة التى تحكم كل صنعة.

تفرد الإمام عبد القاهر فى بيان الفرق بين المقاييس النقدية فى صنعة الكلام والصناعات العملية:

يتفق الإمام عبدالقاهر مع سابقيه من العلماء كالجاحظ فى أن سبيل الكلام سبيل الصياغة والتصوير والصوغ كالفضة والذهب [2]فهو يرى أنه صنعة مثله مثل سائر الصناعات،ولذا تجده يتخذ من الصور الصناعية المختلفة وسائل إيضاح يشرح بها فكره، ويبين بها موقفه وأحكامه ومقاييسه النقدية تجاه صنعة الكلام شعرا كان أو نثراً.

(١) المصدر نفسه ١٤٦

(٢) ينظر الدلائل ٢٥٤/١

وتجد الإمام عبد القاهر يشير الى أن قياس صنعة الكلام وجودته على الصناعات الأخرى موجود عند سابقيه، وذلك فى قوله":وإنا لنراهم يقيسون الكلام فى معنى المعارضة على الأعمال الصناعية، كنسج الديباج، وصوغ الشنف والسوار وأنواع ما يصاغ، وكل ما هو صنعة وعمل يد، بعد أن يبلغ مبلغا يقع التفاضل فيه، ثم يعظم حتى يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيت ويدخل فى حد ما يعجزعنه الأكثرون" (١)

ثم يبين الإمام أن قياس صنعة الكلام على الأعمال الصناعية" كالشئ المركوز فى الطباع "(٢) إلا أنه بعبقريته الفذة استطاع أن ينفرد عن سابقيه، ويلفت النظر إلى مالم ينتبه إليه أحد من البلاغيين والنقاد قبله، وهو أن هذا القياس وإن كان كالشئ المركوز فى الطباع إلا أن هناك فرقا بين القياس فى صنعة الكلام وبين القياس فى الصناعات العملية، وأن هناك أحكاماً يمكن أن تجرى فى هذه الصناعات ولا تنطبق على صنعة الكلام"وهو أنه يتصور أن يبدأ هذا فيعمل ديباجا ويبدع في نقشه وتصويره، فيجئ آخر ويعمل ديباجا آخر مثله فى نقشه وهيئته وجملة صنعته حتى لا يفصل الرائى بينهما، ولا يقع لمن لم يعرف القصة، ولم يخبر الحال إلا أنهما صنعة رجل واحد، وخارجان من تحت يد واحدة، وهذا الحكم فى سائر المصنوعات، كالسوار يصوغه هذا ويجئ

(١) المصدرنفسه١/٢٦٠

(٢) المصدر نفسه١/٢٦٠

ذاك فيعمل سواراً مثله، ويؤدى صنعته كما هى، حتى لا يغادر منه شيئاً البته "(١)

ثم يبين الإمام أن هذا القياس لا ينطبق على صنعة الكلام فيقول " : وليس يتصور ذلك فى الكلام، لأنه لا سبيل إلى أن تجئ إلى معنى بيت من الشعر، أو فصل من النثر، فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصنعته، بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صنعة ولا وجه ولا أمر من الأمور "(٢)

هذا هو الفارق بين صنعة الكلام وهذه الصناعات العملية،وبيان هذا الفرق فى القياس مما يحسب للإمام فلم أر – فيما قرأت– أحداً نبه إليه قبله عند قياس صنعة الكلام على الصناعات العملية.

(١) المصدر السابق ٢٦١/١

(٢) المصدر نفسه٢٦١/١

المظهر الثانى

استعارة المصطلحات الخاصة بالصناعات العملية وإطلاقها على صنعة الكلام

من مظاهر تأثر البلاغة العربية بالصناعات المهنية استعارة مصطلحات بعض الصناعات وإجرائها على صنعة الكلام، وهذا شائع وكثير فى كتب التراث البلاغى والنقدى، بل إنها أصبحت لكثرة شيوعها وكأنها ليست منقولة، وانما هى ألفاظ كأنها حقيقة فى بابها.

ولما كانت هذه المصطلحات المنقولة من بيئة الصناعة مفهومة المعانى والمقاصد عند إطلاقها واستعمالها فى صنعة الكلام عند علماء البلاغة والنقد، لم تكن هذه المصطلحات بالنسبة لهم فى حاجة إلى بيان مقاصدها ومعانيها،أما الآن فقد أصبحت فى حاجة ماسة إلى بيان معانيها فى التراث البلاغى والنقدى، فهذه المصطلحات كانت بالنسبة للأوائل كالمواضعة المعروفة مقاصدها للجميع، أما الآن فقد أصبح الكثير من المتخصصين يقرأ هذه المصطلحات ولا يعرف المراد منها، ولذا فإننى آثرت أن أرصد هذه المصطلحات، وأبين مقاصدها ومعانيها، وذلك من خلال استخدام البلاغيين والنقاد لها، هذا الاستخدام الذى يكشف عن مظهر من مظاهر تأثر صنعة الكلام بغيرها من الصناعات العملية. وقد كان البلاغيون والنقاد عند نقلهم هذه المصطلحات من بيئة الصناعة وإطلاقها على الكلام يدركون العلاقة القوية بين المعانى الحقيقية لهذه المصطلحات وبين المفاهيم التى أرادوها عند إطلاقها

على صنعة الكلام، وفى السطور التالية رصد وبيان لمفاهيم هذه المصطلحات وهى على ترتيبها كالتالى:

الصياغة -النسج – السبك – التصوير – النظم

- **الصياغة:**

الصياغة فى الأصل مصطلح مستخدم فى صناعة الذهب والفضة، وقد نقله العلماء إلى صنعة الكلام، لأنهم يعدون الكلام صنعة مثله مثل سائر الصناعات العملية.

والمتأمل فى استخدام هذا المصطلح فى التراث البلاغى والنقدى يجد أن هذا المصطلح يقصد به عند الاستعمال ترتيب المعانى وصورتها فى الذهن،ولذا جاء هذا المصطلح مضافا إلى المعانى فى أكثر استعمالاته عند البلاغيين والنقاد، وقد يأتى هذا المصطلح مضافاً إلى الكلام وفى هذه الحالة يكون المقصود منه النظم.

يقول ابن كمال باشا نقلاً عن الجاحظ(١)، مشيرا إلى هذين المعنيين لمصطلح الصياغة فى التراث البلاغى": وإذا تحققت أن الصياغة المستعملة فى عرف أهل هذه الصناعة تستعمل تارة لما فى نظم الكلام وترتيبه من إحداث الهيئة، وأخرى لما فى معنى الكلام وترتيبه من إحداث الصورة، فاعلم أنه لا دخل لعلم البيان فى الصياغة بالمعنى الأول، فإن علم المعانى مستقل فى بيان

(١) هذا النص نسبة ابن كمال باشا إلى الجاحظ ولم أجده فيما اطلعت عليه من كتب الجاحظ

ما يتعلق بها، وكذا الحال فى الصياغة بالمعنى الثانى،إن لم يكن فيهاتأثير للتوسع والتجوز، وإن كان فيها تأثير لهما فلعلم البيان فيها شركة مع علم المعانى،والحظ الوافر للثانى ضرورة أن الأول منه بمنزلة الغصن فى الدوحة"[١]

وتجد الجاحظ يطلق مصطلح الصياغة ويربطه بالتصوير فى قوله": إنما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير" [٢] وهذا الربط بين المصطلحين يدل على أن الجاحظ يقصد بمصطلح" التصوير الذى عبر عنه بالصياغة تصوير المعانى بترتيبها الذهنى، لا تصوير الألفاظ بتركيبها الخارجى"[٣]

ولم يخرج مفهوم الصياغة واستعماله عند الإمام عبد القاهر عما أراده الجاحظ منه، فقد تأثر الإمام عبد القاهر فى الربط بين مصطلح الصياغة والتصوير، ونقل عبارة الجاحظ السابقة" :إنما الشعر صياغة، وضرب من النسج،وجنس من التصوير" فهذا النقل يدل على أن الإمام قصد بمصطلح الصياغة ترتيب المعانى فى الذهن وتصويرها، يقول الإمام": اعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذى نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبيين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون فى صورة هذا لا تكون فى صورة

(١) رسالة فى تحقيق معنى النظم والصياغة،تأليف: أحمد بن سليمان بن كمال باشا شمس الدين،تح،حامد قنيب ١٨٧-الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة١٤٠٦هـ

(٢) الحيوان ٦٧/٣

(٣) رسالة فى تحقيق معنى النظم والصياغة١٨٧

ذاك، وكذلك كان الأمر فى المصنوعات، فكان تبيين خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى فى أحد البيتين، وبينه فى الآخر بينونة فى عقولنا وفرقا، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا :للمعنى فى هذا صورة غير صورته فى ذلك، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور فى كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ : إنما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير "(١)

ففي هذا النص دلالة قاطعة علي تأثر الإمام عبدالقاهر بمفاهيم السابقين، وخاصة الجاحظ في بيان مفهوم الصياغة والتصوير، وبيان أنهما مترابطان يكمل أحدهما الآخر.

إذا فمصطلح الصياغة وغيره من المصطلحات مثل النظم والتصوير وغيرهما من" الإشارات والتنبيهات التى يعتمد عليها عبد القاهر فى تفسير معنى البلاغة والبيان , وردت كثيراً – كما نبه عليه الإمام فى نصه السابق – فى كلام المتقدمين، فإذا رجعنا إلى الدلالات الحقيقية لهذه الألفاظ عرفنا أن المقصود هو الترتيب والتأليف والتركيب "(٢)

وقد ارتبط لفظ الصياغة عند السكاكى بالمعانى مما يدل على أنه قصد به ترتيب المعانى وصورتها فى الذهن، وقد ظهر ذلك واضحاً فى قوله، معلقا على التشبيه فى قول القاضى التنوخي:

---

(١) الدلائل٢/٥٠٨

(٢) النقد والبلاغة،المؤلف،شكرى محمد عياد،٤٢٨، الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى،١٩٨٧.

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

"فإنه حين رأى ذوى الصياغة للمعانى شبهوا الهدى والشريعة والسنن وكل ماهو علم بالنور لجعل صاحبها فى حكم من يمشى فى نور الشمس فيهتدى على الطريق المعبد، فلا يتعسف فيعثر تارة على عدو قتال، ويتردى أخرى فى مهواة مهلكة، وشبهوا الضلالة والبدعة وكل ما هو جهل بالظلمة لجعل صاحبها فى حكم من يخبط فى الظلماء فلا يهتدى على الطريق "[١]

فواضح وضوحاً بينا أن السكاكى يقصد بالصياغة ترتيب المعانى وصورتها فى الذهن.

وفى المقارنة بين الحقيقة والمجاز تجد لفظ الصياغة مرتبطا بالمعانى عند السكاكى ومضافاً إليها، يقول" : واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعانى مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر" [٢]

وعندما قصد السكاكى بمصطلح الصياغة النظم أضاف هذا المصطلح إلى الكلام فقال":مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب (إن زيدا منطلق) إذا

(١) مفتاح العلوم،المؤلف، يوسف بن أبى بكر بن محمد على السكاكى، تح، نعيم زرزور، ص٣٤٣، الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية،١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

(٢) المصدر نفسه ٤١٢

سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصودا به نفى الشك أورد الإنكار " (١)

فواضح من هذا النص أن السكاكى لم يقصد بمفهوم الصياغة المفهوم الذى قصده عند إضافة لفظ الصياغة إلى المعانى، وهو ترتيب المعانى وصورتها فى الذهن، وإنما قصد به نظم الكلام، ولذا أضافة إلى الكلام، وفى هذا دلالة على أن السكاكى لم يخرج عن مفهوم مصطلح الصياغة عند سابقيه، ولم يخرج– أيضا –عن المعنيين اللذين أشار إليهما ابن كمال باشا فى قوله ":الصياغة المستعملة فى عرف أهل هذه الصناعة تستعمل تارة لما فى نظم الكلام وتأليفه من إحداث الهيئة، وأخرى لما فى معنى الكلام وترتيبه من إحداث الصورة "(٢)

فعندما أضاف السكاكى الصياغة إلى المعانى قصد المعنى الثانى، وعندما أضاف الصياغة إلى الكلام قصد المعنى الأول.

وعند العلوى جاء مصطلح الصياغة بنفس مفهومه عند السابقين وهو إعادة ترتيب المعانى وصورتها فى الذهن،تجد ذلك فى حديثه عن السرقات الشعرية، يقول":فإن الشاعرين المفلقين يأخذ كل واحد منهما معنى صاحبه

(١) المصدر نفسه١٦١،١٦٢

(٢) رسالة فى تحقيق معنى النظم والصياغة ١٨٧

ويصوغه على خلاف تلك الصياغة , ويقلبه على قالب آخر فإما زاد عليه،وإما نقص عنه،وكل ذلك إنما هو خوض فى تأليف الكلام ونظمه "[1]

هكذا يظهر جليا من خلال نصوص العلماء اتفاقهم على مفهوم مصطلح الصياغة عند استعارته للكلام، وكأن مثل هذه المصطلحات كانت بمثابة المواضعة التى يفهم معناها بمجرد إطلاقها، ولذا فإنها لم تكن محتاجة عندهم للكشف عن معانيها ومفاهيمها.

- **النسج:**

النسج من الألفاظ التى نقلت من باب الصناعة واستعيرت للكلام،وقد استعمل هذا المصطلح فى الكلام، وتعلقت به الأحكام النقدية مثل :

(تفاوت النسج) ،(رداءة النسج) ،(تكلف النسج)،(استواء النسج) (قبح النسج)،(هلهلة النسج) وإطلاق النقاد لهذه الأحكام النقدية المضافة إلى مصطلح النسج دون وضع تعريف لهذا المصطلح دليل على أن مفهوم هذا المصطلح عند استعارته للكلام بمثابة الشئ المتفق عليه الذى لا يحتاج إلى بيان أو تعريف، إلا أننا أصبحنا اليوم لبعد المسافة بيننا وبينهم فى الفكر والزمن بحاجة ملحة إلى معرفة مفاهيم مثل هذه المصطلحات.

والذى يعايش فكر البلاغيين والنقاد ويدقق فى عبارتهم عند استعمالهم لمصطلح النسج يجد أن هناك رابطا قويا بين استعمال اللفظ فى الكلام وبين

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف، يحي بن حمزة ١٠٧/٣،الناشر:المكتبة العصرية– بيروت الطبعة الأولى،١٤٢٣ هـ

أصله المنقول عنه، فالنسج فى أصل معناه للثوب، وهو يعنى ضم الشئ إلى الشئ، فاستخدام النسج فى الكلام من باب الاستعارة،ولذا يقول ابن منظور ":نسج الشاعر الشعر نظمه، والشاعر ينسج الشعر، والكذاب ينسج الزور ،ونسج الغيث النبات كله على المثل" (١)

وقد راعى البلاغيون عند استعمالهم للفظ النسج فى الكلام الأصل المستعمل فيه هذا اللفظ، فإذا كان النسج فى صنعة الخياطة يعنى التناسق بين الألوان والأصباغ وضم بعضها إلى بعض والتأليف بينها، ومراعاة عدم التنافر بين القطع المستخدمة، فإن المتأمل فى استخدام العلماء لهذا المصطلح فى الكلام يجد أنهم يقصدون به حسن الترتيب، والخلو من التعقيد، وائتلاف الألفاظ مع المعانى،هذه الأشياء التى تؤدى فى النهاية إلى الحكم بجمال النظم.

ومما يؤكد ما قلت من بيان مفهوم معنى النسج واستعماله عند البلاغيين والنقاد تعليق صاحب الموازنة على بيت أبى تمام:

عفت أربع الحلات للأربع الملد لكل هضيم الكشح مغربة القد(٢)

يقول صاحب الموازنة معلقا على هذا البيت": الحلات جمع حلة، وهو الموضع الذى يحلونه، يقال :حلة ومحلة، والأربع الملد، يريد أربع نساء ملد من قولهم :غض أملود، وهو الناعم، وأملود لا يجمع على ملد، وإنما هو جمع

(١) لسان العرب،تأليف محمد بن مكرم بن على،أبو الفضل جمال الدين بن منظور ٣٧٧/٢،الناشر دار صادر– بيروت،الطبعة الثالثة١٤١٤هـ

(٢) ديوان أبى تمام الطائى،شرح شاهين عطية ص١١٦،المكتبة الوطنية،المطبعة الأدبية– بيروت ١٨٨٩م.

أملد، وهضيم الكشح، يريد ضامرة البطن، وقوله :مغربة القد، يريد :أغرب قدها، أى لها قد غريب فى الحسن، وإنما أراد عفت أربع حلال : أى مواطن لأربع نسوة، وهذا تكلف شديد، وقد جاء بلفظ غير حسن ولاجميل، وكذلك (مغربة القد) من قول الشعراء المتأخرين : غريب الحسن وغريب القد، والكلمة إذا لم يؤت بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت، وقوم يرونه (أربع الحلات) جمع ربع وذلك غلط" (١)

وبعد أن ذكر صاحب الموازنة ما وقع فيه أبو تمام من أخطاء فى اللفظ والمعنى قال معلقا تعليقا عاما على البيت" : وهو ردئ اللفظ قبيح النسج":(٢)

فقبح النسج فى رأى صاحب الموازنة جاء من سوء الترتيب والتعقيد،وعدم الملاءمة بين الألفاظ والمعانى كما بين هو.

ويزداد الأمر وضوحاً فى بيان معنى النسج فى تعليق صاحب الوساطة على بيت المتنبي-:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمة بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمة (٣)

يقول:" من يرى هذه الألفاظ الهائلة والتعقيد المفرط فيشك أن وراءها كنزا من

---

(١) الموازنة بين أبى تمام والبحترى، المؤلف، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى تح، السيد أحمد صقر ٤٤٩/١، ٤٥٠، الطبعة الرابعة – دار المعارف

(٢) المصدر نفسه٤٤٩/١، ٤٥٠

(٣)) ديوان المتنبى، تح، سليم إبراهيم ص٢١٣ طبع برخصة وزارة المعارف، نمرو ١٨٤، المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم، صادر – بيروت ١٩٠٠م

الحكمة، وأن فى طيها الغنيمة الباردة حتى إذا فتشها، وكشف سترها، وسهر الليالى متوالية فيها حصل على أن وفاؤكما يا عاذلى بأن تسعداإذا درس شجاه،

وكلما ازداد تدارساً ازددت له شجوا، كما أن الربع أشجاه دارسة " (١)

فالقاضى الجرجانى يرى أن الشاعر قد عرض المعنى الجيد الذى يطوى حكمة عالية فى نظم فاسد، وذلك نتيجة لسوء الترتيب بين الألفاظ، وسوء التأليف والتعقيد، ولذا تجده يحكم على البيت بهلهلة النسج حيث يقول": فما هذه المعانى التى يضيع لها حلاوة اللفظ، وبهاء الطبع،ورونق الاستهلال، ويشح عليها حتى يهلهل لأجلها النسج، ويفسدالنظم، ويفصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه، ويقدم و يؤخر، ويعمى ويعوّص، ولو احتمل الوزن ترتيب الكلام على صحته، فقيل : وفاؤكما بأن تسعدا أشجاه طاسمة كالربع، أو فاوكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمة لظهر هذا المعنى المضنون به، المتنافس فيه "(٢)

وتجد معنى النسج يزداد وضوحاً فى هجوم صاحب الوساطة على المكثرين من البديع الذين كل همهم هو الإسراف فى استخدام المحسنات البديعية دون مراعاة سلامة النظم وحسن الترتيب، يقول متحدثا عن هذا النوع

---

(١)الوساطة بين المتنبي وخصومه، المؤلف، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز القاضي الجرجاني، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ص٩٨ –مطبعة عيسى البابي الحلبي.

(٢) المصدر نفسه١/٩٨

":وبغيته أن يجد لفظاً مروّقا، وكلاما مزوّقا وقد حشي تجنيساً وترصيعاً، وشحن مطابقة وبديعا، أو معنى غامضاً قد تعمق فيه مستخرجة، وتغلغل إليه مستنبطة، ثم لا يعبأ باختلاف الترتيب، واضطراب النظم، وسوء التأليف، وهلهلة النسج، ولا يقابل بين الألفاظ ومعانيها، ولا يسبر ما بينها من نسب، ولا يمتحن ما يجتمعان فيه من سبب، ولايرى اللفظ إلا ما أدى إليه المعنى، ولا الكلام إلا ما صور له الغرض، ولا الحسن إلا ما أفاده البديع "[١]

فواضح من كلام صاحب الوساطة أنه يشن حملة على أصحاب التكلف فى البديع، ويصب عليهم غضبه، ويصفهم بعدم مراعاة التناسب والائتلاف بين الألفاظ والمعانى مما يؤدى إلى التعقيد والغموض، وهذا ما أطلق عليه هلهلة النسج، وهذا يدل على أن مصطلح النسج يقصد به – كما قلت من قبل – حسن الترتيب، وسلامة التأليف، والتناسب بين الألفاظ والمعانى، والخلو من الغموض والتعقيد.

- **السبك:**

السبك مصطلح شائع فى استخدام البلاغيين والنقاد،فقد نقلوه من صناعة المعادن الذى هو أصل [٢] فيها إلى صناعة الكلام، واستخدموه فى وصف الكلام والحكم عليه شعرا ونثرا، وقد تعلقت به الأحكام النقدية، ويكون

(١) الوساطة ١/١٠٠

(٢) جاء فى لسان العرب" سبك الذهب والفضة ونحوه يسبكه أفرغه فى قالب، والسبيكة القطعة المذوبة منه، والسبك تسبيك السبيكة من الذهب اللسان ١٠/٤٣٨ بتصرف.

الحكم على الكلام بالجودة أو الرداءة بحسب ما يضاف إلى هذا اللفظ ، ففى الحكم بالجودة تجد أحكاماً مثل:

(سهولة السبك)،(حسن السبك) ، (طلاوة السبك)،(جودة السبك)، (صحة السبك)، وفى الحكم بالرداءة تجد أحكاما مثل :(رداءة السبك) ،(خيانة السبك)،(تعسف السبك).

والمدقق فى استخدام البلاغيين والنقاد لهذا المصطلح يجد أنه غالبا ما يأتى فى وصف الألفاظ وترتيبها ومجيئها على هيئة معينة، فإذا كنا قد عرفنا من قبل أن مصطلح الصياغة يستعمل فى ترتيب المعانى فى الذهن ومجيئها على صورة معينة، فإن مصطلح السبك يستعمل فى ترتيب الألفاظ وهيئتها وصورتها، يدلك على ذلك هذا الحكم النقدى الذى أطلقه صاحب الوساطة فى حكمه على بعض الأبيات بقوله" :ومما أنكر أن يكون كثير مما عددته من هذه الأبيات ساقطة عن الاختيار، غير لاحقة بالإحسان، وإن منها ما غلب عليه الضعف،ومنها ما أثر فيه التعسف، ومنها ما خانه السبك فساء ترتيبه،وأخل نظمه، ومنها ما حمل عليه التعمق فخرج به إلى الغثاثة والبرد،وإن كان أكثرها لم يأت من قبل المعنى وشرفه "(١)

فواضح من هذا النص أن استعمال صاحب الوساطة لمصطلح السبك مقصود به ترتيب الألفاظ وهيئتها، وقد جاء لفظ السبك مضافا إليه فى قوله : خانه السبك، فخيانة السبك كما بين ترتب عليها فسادالترتيب، وعدم الائتلاف بين الألفاظ، وعدم التأليف بينها، وهذه الأوصاف التى ترتبت على خيانة السبك

(١) الوساطة ١/١٠٠

أوصاف جاءت من قبل اللفظ، بدليل قوله :"وإن أكثرها لم يأت من قبل المعنى وشرفه"

ويدلك – أيضا –على أن مصطلح السبك مستعمل عند البلاغيين والنقاد فى معنى ترتيب الألفاظ قول صاحب الصناعتين فى تعليقه على قصيدة المرقش التى مطلعها:

هل بالديار أن تجيب صمم لو أن رسماً ناطقا كلم[1]

فقد أنكر صاحب الصناعتين على الأصمعى اختياره لهذه القصيدة قائلاً:

"ولا أعرف على أى وجه صرف اختياره إليها، وماهى بمستقيمة الوزن، ولا مونقة الروى، ولا سلسلة اللفظ، ولا جيدة السبك، ولا متلائمة النسج[2]"

فالملاحظ على هذه الأحكام النقدية التى أطلقها أبو هلال أنها أوصاف تتعلق بالألفاظ من قوله : (وماهى بمستقيمة الوزن)إلى قوله : (ولا متلائمة النسج).

□

(١) ديوان المرقشين، تح كرين ص٦٧، صادر– بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م

(٢) كتاب الصناعتين، تأليف أبى هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى، تح، على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص الصناعتين، تأليف أبى هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى، تح، على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص٣، الناشر المكتبة العصرية – بيروت ١٤١٩

- **التصوير:**

الصورة بالضم : الشكل وقد صوره صورة حسنة فتصور : تشكل [١] والمصور من صفات الله تعالى لتصويره صور الخلق، ورجل مصور، إذا كان معتدل الصورة [٢] والتصوير من المصطلحات المستعارة لصنعة الكلام، وهو مصطلح مستخدم بكثرة فى عبارات البلاغيين والنقاد، حتى أصبح المصطلح لكثرة استعماله وكأنه أصل فى بابه.

وشيوع هذا المصطلح فى صنعة الكلام يدل على قوة التشابه وشدة التأثير بين الصنعة الأصلية التى نقل منها اللفظ وبين الصنعة التى نقل إليها اللفظ،وهى صنعة الكلام، فكما أن الصورة تشخص الشئ المصور وتجسده، فكذلك جعل البلاغيون الألفاظ والعبارات صورا للمعانى، واستخدموا مع مصطلح التصوير فى الكلام نفس الأوصاف التى تستخدم معه فى صنعته الأصلية، فقالوا : روعة التصوير، وجمال التصوير، وحسن التصوير، ودقة التصوير، وهم يعنون بذلك دقة التعبير عن المعانى.

ومصطلح التصوير مصطلح قديم فى التراث البلاغى يدل على ذلك قول الإمام عند تعريفه لهذا المصطلح " واعلم أن قولنا : الصورة، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذى نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين

---

(١) تاج العروس ٣٥٧/١٢

(٢) تهذيب اللغة، تأليف محمد بن أحمد الأزهرى أبو منصور، تح، محمد عوض مرعى ١٦٠/١٢ دار إحياء التراث العربى –بيروت –الطبعة الأولى ٢٠٠١

آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبيين إنسان من إنسان،وفرس من فرس بخصوصية تكون فى صورة هذا لا تكون فى صورة ذاك، وكذلك كان الأمر فى المصنوعات، فكان تبيين خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى فى أحد البيتين وبينه فى الآخر بينونة فى عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا : للمعنى فى هذا صورة غير صورته فى ذلك، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هم مستعمل مشهور فى كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ : إنما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير "(١)

هكذا تجد الإمام يربط _ بعبقريته الفذة – بين مصطلح التصوير فى أصل معناه وهو الارتباط بالأشكال الحسية، وبين التصوير بمفهومه فى صنعة الكلام، ليوضح قوة التأثر، ونقطة التشابه التى سمحت بنقل المصطلح من صنعته الأصلية واستخدامه فى صنعة الكلام، فكما أن الأشكال الحسية هى التى تفرق بين أصحابها، فكذلك الألفاظ والعبارات هى التى تفرق بين صور المعانى، لأن اللفظ صورة لمعناه.

- **النظم:**

النظم فى أصل معناه منقول من صنعة الجواهر، تقول " : نظمت اللؤلؤ،أى جمعته فى السلك، والنظم : نظمك الخرز بعضه إلى بعض فى نظام واحد" (٢)

---

(١) الدلائل ٢/٥٠٨

(٢) اللسان ٢/٥٧٨

ولما كانت صنعة الكلام تشبه صنعةالجواهر، لما فى كل منهما من التأليف والترتيب نقل علماء البلاغة مصطلح النظم إلى صنعة الكلام، للتشابه بين الصنعتين فى الاحتياج إلى مراعاة الدقة فى وضع كل جزئية مع ما يليق بها، مع مراعاة حسن التجاور والتلاؤم والتناسق بين الجزئيات

وقد كانت عملية الترتيب والتأليف التى هى وجه الشبه بين صنعة الجواهر وصنعة الكلام هى الأساس الذى بنى عليه الإمام التأصيل لقضية النظم، فهو فى كثير من الأحيان يشبه صانع الكلام بصانع الجواهر، ونظم الكلام بنظم الجواهر فتجده يقول :" وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي فى نظمها آثار المعانى وترتيبها على حسب ترتيب المعانى فى النفس، فهو – إذاً – نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذى معناه ضم الشئ إلى الشئ كيف جاء واتفق،ولذا كان عندهم نظير النسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض،حيث يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هنا،وحتى لو وضع مكان غيره لم يصلح "[1]

ويشير الإمام عبد القاهر إلى أن مصطلح النظم مستعار ومنقول من صنعته الأصلية إلى صنعة الكلام فيقول" :وإذا كنت تعلم أنهم قد استعاروا النسج والوشى والنقش والصياغة لنفس ما استعاروا له النظم، وكان فى ذلك كله

(١) الدلائل ٤٩/١

تشبيه وتمثيل يرجع إلى أمور وأوصاف تتعلق بالمعانى دون الألفاظ، فمن حقك أن تعلم أن سبيل النظم ذلك السبيل"[١]

هكذا تجد عند الإمام الإشارات التى تشير إلى تأثر مصطلح النظم فى البلاغة العربية بمفهومه فى أصل صنعته وهى صناعة الجواهر.

ومن فكرة الترتيب والتأليف المشتركة بين صنعة الكلام وصناعة الجواهر أخذ الإمام يعالج قضية النظم متأثراً باتجاهين قبله،الاتجاه النحوى الذى كان سيبويه أبرز رجاله، واتجاه أصحاب الإعجاز القرآنى كالخطابى والباقلانى، ثم أضاف إلى هذين الاتجاهين من عقليته الفذة، وذوقه الرفيع، وعبقريته النادرة ما استطاع به أن يصل بقضية النظم إلى مرحلة النضج والاستواء، معرفاً النظم بقوله" :ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو" [٢] ثم ينطلق من هذا التعريف شارحا وموضحا بالشواهد مركزا على قضية التأليف والترتيب بين الأجزاء التى هى الشبه المشترك الذى من أجله نقل مصطلح النظم من صنعة المعادن إلى صنعة الكلام.

(١) المصدر نفسه١/٥٣

(٢) المصدر السابق١/٨١

المظهر الثالث

تحويل بعض المصطلحات الصناعية إلى مصطلحات بلاغية

من مظاهر تأثر صنعة الكلام بغيرها من الصناعات العملية نقل بعض المصطلحات الخاصة بالصناعات وتحويلها إلى مصطلحات بلاغية، ومما لا شك فيه أن البلاغيين عندما نقلوا هذه المصطلحات إلى البلاغة العربية كانوا يدركون ويراعون العلاقة بين مدلول المصطلح في أصله وبين مدلوله في صناعة الكلام وفنه،فهم كانوا ينقلون المصطلح لوجود تشابه بين ما يفعله المتكلم في صنعة الكلام وما يفعله صاحب الصنعة المنقول منها المصطلح في صنعته، وهذا ما سيتضح من تعريفاتهم وكلامهم وأمثلتهم في حديثهم عن هذه المصطلحات في السطور التالية:

(التطريز)

التطريز من المصطلحات البلاغية التي نقلها علماء البلاغة والنقد من صناعة الثياب وأطلقوه كمصطلح بلاغي يدل على فن من فنون الكلام، وفي الدلالة الأصلية لهذا المصطلح يقول ابن منظور" : الطراز، ما ينسج من الثياب للسلطان، والطراز، الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد، والطراز علم الثوب، فارسي معرب، وقد طرز الثوب فهو مطرز "[1]

وقد راعى البلاغيون العلاقة بين معنى هذا المصطلح الأصلي وما يدل عليه في صناعة النسج، وبين ما يدل عليه في صناعة الكلام، فجعلوا نسج

(١) لسان العرب٥/٣٦٨(بتصرف

القصيدة وبناءها على أبيات متتالية تشتمل على كلمات متساوية فى الوزن،فجعلوا هذه الكلمات المتساوية فى الوزن كالطراز فى الثوب،وقد أشار صاحب الصناعتين إلى هذه العلاقة بين معنى المصطلح الأصلى وبين معناه كفن بديعي فقال" :هو أن يقع فى أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية فى الوزن فيكون فيها كالطراز فى الثوب "(١)

فمن خلال هذا التعريف تدرك أن علماء البلاغة كانوا يراعون نقطة التلاقى والتشابه بين ما يدل عليه المصطلح فى صنعة النسج وما يدل عليه فى صنعة الكلام، فهم يجعلون الشاعر فى نظمه لقصيدته على هيئة مخصوصة كالنساج فى تطريزه لثوبه،وقد مثل أبوهلا ل العسكرى لهذا المصطلح بقول الشاعر:

إذا أبوقاسم جادت لنايده لم يحمد الأجودان: البحر والمطر

وإن أضاءت لنا أنوار غمرته تضاءل الأنوران: الشمس والقمر(٢)

هذا وقد عرفه صاحب الطراز بقوله":وهو من طرزت الثوب إذ أتيت فيه بنقوش مختلفة ...وهو فى مصطلح علماء البيان مقول على ما يكون صدر الكلام والشعر مشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى، ثم يؤتى بالعجز فتكرر فيه الثلاثة بلفظ واحد "(٣) وقد مثل له العلوى بما قاله بعضهم:

---

(١) كتاب الصناعتين٤٢٥

(٢) المصدر نفسه ٤٢٥

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،المؤلف،يحيى بن حمزة على بن إبراهيم الحسينى العلوى ٥١/٣،الناشر،المكتبة العنصرية،١٤٢٣هـ.

وتســـقينى وتشـــرب مـــن رحيـــق خليـــــق أن يلقـــــب بـــــالخلوق

كـأن الكـأس فـى يـدها وفيهـا عقيـق فـــى عقيـــق فـــى عقيـــق[1] قمـــر[2]

وتلحظ فى تعريف صاحب الطراز محاولة الربط بين المعنى الأصلى لمصطلح التطريز، وذلك بالإشارة إلى مقصود المصطلح فى صنعته الأصلية، فبعد أن أشار إلى مفهوم المصطلح فى صنعة النسج حدد مفهومه عند علماء البيان، وكأنه بذلك يشير إلى أن المفهوم الأصلى للمصطلح لم يكن غائبا عن أذهان البلاغيين والنقاد عند إطلاق هذا المصطلح كفن من فنون الكلام.

(الاحتباك)

الاحتباك من المصطلحات المنقولة من صنعة الثياب والنسج، فالاحتباك فى أصل معناه يعني : شد الإزار، والحبك : الشد والإحكام[3]

والاحتباك سماه الزركشي : الحذف المقابلى، وعرفه بقوله" : هو أن يجتمع فى الكلام متقابلات فيحذ ف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه"[4] أما العلامة السيوطى فقد سماه باسمه المتعارف عليه فى الوسط

---

(١) المصدر نفسه٣/٥١

(٢) المصدر نفسه ٤٢٥

(٣) ينظر اللسان١٠/٤٠٧

(٤) البرهان فى علوم القرآن، تأليف، أبوعبدالله بدر الدين محمدبن عبدالله بن بهاء الزركشي، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ١٢٩/٣الناشر: دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧م.

البلاغى وهوالاحتباك، وعرفه فقال : وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى، وفى الثانى ما أثبت نظيره فى الأول" (١)

وقد أشار السيوطى إلى العلاقة بين مدلول المصطلح فى صنعة الثياب والنسج، وبين مدلوله فى صنعة الكلام فقال" : ومأخذ التسمية من الحبك الذى معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان مأخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه، الماهر فى نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعة، كان حابكا له، مانعا من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن والرونق" (٢)

فواضح من كلام العلامة السيوطى نقطة التشابه بين تصرف المتكلم فى الكلام الذى أطلق عليه البديعيون مصطلح الاحتباك، وبين تصرف الصانع للثوب فى صنعته، هذا التصرف والصنعة التى أطلق عليها فى صنعة النسج الاحتباك.

□

(١) الإتقان فى علوم القرآن،تأليف عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى،تح، محمد أبو الفضل إبراهيم،٢٠٦/٣، الناشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م

(٢) المصدر السابق٢٠٦/٣

(التفويف)

التفويف من المصطلحات البديعية المنقولة – أيضا – من صناعة النسيج،" فالفوف، هى ثياب رقاق من ثياب اليمن، موشاة، والفوف : قطع القطن، والفوف فى قول ابن الأحمر :

والفـــوف تنســـجه الـــدبور وأتـــلال ملمعـــة القـــرا شـــقر

الزهر، شبهه بالفوف من الثياب تنسجه الدبور إذا مرّضت به "[١]

والتفويف عند أهل البديع:"عبارة عن إتيان المتكلم بمعان شتى فى المدح أو الغزل أو غير ذلك من الفنون والأغراض، كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن أختها بالتسجيع غالبا،مع تساوى الجمل المركبة فى الوزنية"[٢].

وقد مثل ابن أبى الإصبع [٣] للتفويف بقول النابغة:

فلله عينا من رأى أهل قبة أضر لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظم أحلاماً وأكبر سيدا وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا[١]

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسينى الملقب بالزبيدى، تح، مجموعة من المحققين ٢٣٢/٢٤الناشر، دار الهداية

(٢) تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن،المؤلف عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبى الإصبع البغدادى ثم المصرى، تح محمد شرف،ص٢٦١ الناشر الجمهورية العربية المتحدة،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث الإسلامى.

(٣) المصدر نفسه٢٦١

وفى حديث ابن أبى الإصبع عن هذا المصطلح ما يدل على مراعاة المعنى الأصلى والتأثر به، يقول" : اشتقاق التفويف من الثوب الذى فيه خطوط بيض. ..والفوف قطع القطن، وبرد مفوف، أى رقيق، فكأن المتكلم خالف بين جمل المعانى فى التقفية كمخالفة البياض لسائر الألوان،لأن بعده من سائر الألوان أشد من بعد بعضها عن بعض، إذ هو بسيط بالنسبة إليها، وكلها مركبة بالنسبة إليه،لأنه قابل لجميع الألوان، وجميع الألوان تقبل التغيير إلى لون آخر بحسب التركيب والشدة والضعف إلا السواد فإنه لا يقبل تركيباً البته، فهو ضد البياض ونقيضه،ولاجرم أن الجمع بينهما فى الكلام يسمى مطابقة بخلاف بقية الألوان" (٢)

فالمدقق فى كلام ابن أبى الإصبع يدرك ثقافة الرجل،ومعرفته بالبيئة الصناعية التى نقل منها المصطلح،ويدرك– أيضا– أن العلماء قبل أن يطلقوا المصطلح البلاغى كانوا يدركون جيدا المعانى التى تدور حول المصطلح فى أصل بيئته،وكانوا يدركون التشابه والاشتراك بين المعنى الأصلى والمعنى المنقول إليه المصطلح فى بديع الكلام،مما يظهر بقوة تأثر البلاغة العربية – كصناعة – بغيرها من الصناعات العملية.

(١) ديوان النابغة، شرح حمدو طماس ص٧٣، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥م

(٢) تحرير التحبير ٢٦٠

(التسيهم)

بدأ ابن أبى الاصبع فى تعريف هذا المصطلح بما يشير إلى أصل الصناعة التى نقل منها المصطلح،وهو بصنيعه هذا يضع يد قارئه على التشابه ونقطة الالتقاء بين دلالة المصطلح فى صنعته الأصلية وبين دلالته فى صنعة الكلام، فهو يبدأ الحديث عن هذا المصطلح بقوله" :التسيهم هو الثوب المسهم، وهو الذى يدل أحد سهامه على الذى يليه، لكون لونه يقتضى أن يليه لون مخصوص له بمجاورة اللون الذى قبله أوبعده "(١)

وبعد أن أشار ابن أبى الإصبع إلى الجهة التى نقل منها اللفظ، وإلى الصنعة التى أخذ منها المصطلح، وهى صناعة الثوب عرف هذا المصطلح بقوله" : هو أن يتقدم فى الكلام ما يدل على ما تأخر،أو يتأخر منه ما يدل على ما تقدم بمعنى واحد أو بمعنيين وطوراً باللفظ" (٢)

والمتأمل فى بيان ابن أبى الإصبع لأصل استعمال اللفظ، وفى تعريفه للمصطلح فى حقل البلاغة العربيه يجد ترابطا وتشابها بين مدلوله فى صناعة الثياب، وبين مدلوله فى صنعة البلاغة والكلام، فالسهم فى الثوب يدل على اللون الذى يليه، وبداية الكلام تدل على نهايته، وآخر الكلام يدل على أوله، وذلك لشدة الترابط والتلازم بين السهام فى الثوب، وبين الأجزاء فى نظم الكلام، ولأن السهم فى الثوب يقتضى اللون الذى يليه، ومقدمة الكلام تقتضى آخره

(١) المصدر السابق ٢٦٣
(٢) المصدر السابق٢٦٣

وتدل عليه، وهكذا فهناك نقطة التقاء وتشابه أدركها البلاغيون بين دلالة اللفظ فى صنعة الثياب وبين دلالته فى صنعة الكلام.

(السلخ)

السلخ مصطلح منقول من صنعة الجزارة،لأن السلخ فى اللغة معناه كشط الجلد عن الشاه،والمسلوخ: الشاه التى سلخ جلدها [١] ولذا تجد العلامة ابن الأثير يفسر السلخ فى قوله تعالى: (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) [٢] فيقول" شبه تبرؤ الليل من النهار بانسلاخ الجلد المسلوخ،وذاك أنه لما كانت هوادى الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ، وكان ذلك أولى من أن لوقيل": يخرج،لأن السلخ أدل على الالتحام من الإخراج" [٣]

ومراعاة لأصل المعنى الذى استخدم فيه لفظ السلخ، ومراعاة للصنعة التى استخدم فيها المصطلح ونقل منها وهى صنعة الجزارة،استخدم البلاغيون مصطلح السلخ فى البلاغة العربية وقصدوا به فى صنعة الكلام مايشبه استخدامه فى صنعة الجزارة، فعرفوا السلخ بأنه أخذ بعض المعنى[٤]

وقد شاع هذا المصطلح فى السرقات الشعرية،وله أوجه كثيرة،ومثاله قول بعض أهل الحماسة :

---

(١) ينظر اللسان٣/٢٥

(٢) من الآية ٣٧ سورة يونس

(٣) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، تأليف، ضياء الدين بن الأثير، تح، أحمد الحوفى، بدوى طبانة ٢/١٠٦،١٠٧، دار نهضة مصر.

(٤) ينظر الطراز٣/١٠٨

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرئ غير طائل

فقد أخذ المتنبى هذا المعنى واستخرج منه ما يشبهه من جهة معناه،ولم يورد شيئا من ألفاظه،ولكنه عول فيه على المعنى وقصره عليه:

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل(١)

فصاحب الحماسة يقول : إن نقص الدنئ إياى مما يزيد نفسى حبا عندى لكون الذى نقصها لا فضل له، فيعرف فضلى، والمتنبى يقول :إن ذم الناقص إياى شاهد بفضلى، فذم الناقص له مثل نقص الذى هو غير طائل فهما متفقان من جهة المعنى.(٢)

هكذا تجد العلاقة القوية بين معنى مصطلح السلخ فى صنعته الأصلية وبين مفهومه عند البلاغيين مما يدل على قوة التأثر بين صنعة الكلام والصناعات الأخرى.

(١) ديوان المتنبى، إخراج لجنة التأليف والترجمة والنشر، تصحيح، د/عبد الوهاب عزام، وأبو الفرج المنصورى ص١٦٦،) بدون طبعه

(٢) الطراز ١٠٩/٣

المظهر الرابع

تأثير الصنعة العملية فى صناعة الصور والتشبيهات

ورد في التراث البلاغى ما يدل على أن الصنعة والمهنة التى يشتغل بها ناظم الكلام لها أثر فى اختياره لصوره وتشبيهاته، وقد ورد ذلك جليا عند السكاكى والخطيب، وهذه الصور الواردة عندهما على ما فيها من ابتذال فى بعض الصور إلا أنها تؤيد فكرتنا التى قام عليها هذا البحث، وهى تأثر صنعة الكلام بغيرها من الصناعات العملية.

صور الصناعات عند السكاكى:

نقل السكاكى أن صاحب سلاح ملك،وصواغاً،وصاحب بقر،ومعلم صبية جمع بينهم الطريق،وأقبل عليهم الليل بظلمته حتى سيطر عليهم خوف الضلال، ومقاساة محنة التخبط، إذ بالبدر الطالع بوجهه الكريم، أضاء لهم أنواره، فأخذ كل منهم ينظم ثناءه ويمدحه بأكرم نتاج خاطره،ويشبهه بأفضل ما فى خزانة صوره، فما يشبهه السلاحى إلا بالترس المذهب يرفع عند الملك،ولا يشبهه الصائغ إلا بالسبيكة من الإبريز تفتر عن وجهها البوتقة، ولا يشبهه البقار إلا بالجبن الأبيض، يخرج من قالبه طريا، ولا يشبهه المعلم إلا برغيف أحمر يصل إليه من بيت كرم [1]

فهذه الصور التشبيهية على ابتذالها تبين فكر السكاكى فى مدى تأثر صنعة الكلام بالصناعات الأخرى، وتوضح أن الصنعة لها تأثير على اختيار

---

(١) مفتاح العلوم ص٢٥٥(بتصرف

الصور عند صاحبها، وتدل– أيضا – على أن السكاكى كغيره ممن سبقه من العلماء كان يدرك العلاقة الوطيدة بين صنعة الكلام والصناعات الأخرى.

صور الصناعات عند الخطيب:

إذا انتقلنا من السكاكى إلى الخطيب نجده متأثراً بفكر السكاكى وموافقا له فى تأثر الصنعة الكلامية بغيرها من الصناعات العملية، وأن كل صاحب صنعة يستقى صوره وتشبيهاته من بيئة صنعته، يتضح ذلك فيما نقله–رغم ما أرى فيه من الابتذال – من أنه " تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم، فقال الجوهرى: أحسن الكلام ما ثقبته يد الفكرة، ونظمته الفطنة، ووصل جوهر معانيه فى سمط ألفاظه، ووصف الصيرفى خير الكلام ما نقدته يد البصيرة،وجلته عين الروية، ووزنته معيار الفصاحة، فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه ببهرج، ووصف الصائغ خير الكلام ما أحميته بكير الفكر، وسبكته بمشاعل النظر، وخلصته من خبث الإطناب، فبرز بروز الإبريز مركبا فى معنى واحد "[1]

ويستمر الخطيب فى سرد أصحاب الصناعات ، ويذكر على ألسنتهم وصفهم لخير الكلام، متخذين مصطلحات صنعتهم وصورها فى هذا الوصف مما يبين تأثر الوصف ببيئة الصنعة، فقد ذكر النجار، والحداد، والخياط، والحائك، والرائض، والجمال،وغيرهم من أصحاب الصناعات، وجاء على لسان

(١) الإيضاح فى علوم البلاغة، تأليف، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزوينى، المعروف بالخطيب، تح محمد عبد المنعم خفاجى ١٣٩/٣ الناشر، دار الجيل– بيروت –الطبعة الثالثه (بتصرف

كل منهم وصف لأحسن الكلام، وقد كان هذا الوصف وليد بيئة الصنعة التى يعمل بها.

وبهذه الأوصاف التى ينقلها الخطيب عن أصحاب الصناعات يبين مدى تأثر صنعة الكلام بصور ومصطلحات الصنعة التى يشتغل بها المتكلمون، ويبين – أيضا –العلاقة الوطيدة بين صنعة الكلام والصناعات الأخرى.

الخاتمة

الحمد لله الذى أتم على نبيه – صلى الله عليه وسلم – نعمته، وأكمل به الدين، وجعله خاتما للأنبياء والمرسلين، وأصلى وأسلم على صاحب الكمال والجلال، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،، وبعد

فبعد هذه الدراسة التى اعتمدت على النظر فى تراث أهل العلم من البلاغيين والنقاد يستطيع البحث أن يرصد أهم النتائج التى توصل إليها، والتى منها.

أولا : ظهر من خلال هذا البحث تأثر صنعة الكلام بالصناعات العملية فى مقاييسها وفى أحكامها النقدية، ومصطلحاتها البلاغية، فقد استمدت البلاغة العربية من الصناعات العملية الكثير من مصطلحاتها كالتطريز، والترصيع، والاحتباك، والتسهيم، والمرفو، والتفويف وغير ذلك من المصطلحات.

ثانيا : اتضح من خلال البحث أن البلاغيين والنقاد كانوا يستخدمون الصناعات العملية كوسيلة من وسائل إيضاح أفكارهم تجاه صنعة الكلام شعراً كانت أو نثرا **ثالثا** : يعد الجاحظ من أوائل من اعتبروا أن الكلام صنعة مثله مثل سائر الصناعات الأخرى كالصياغة والنسج والتصوير، فهو من أوائل من قاسوا صنعة الكلام على مثل هذه الصناعات، وجعلوا الأحكام النقدية العامة التى تحكم هذه الصناعات هى نفسها التى تحكم صنعة الكلام.

رابعا :أثبت البحث أن علماء البلاغة والنقد لم يقفوا عند الحدود الضيقة أو النظرة المحدودة للنص الكلامى، بل تعدى فكرهم إلى الاطلاع على كل ما يخدم صنعة الكلام، وكل ما يخدم فكرهم البلاغى، فقد كان عندهم علم واطلاع

بدقائق الصناعات المختلفة لما رأوا فيها من التشابه مع صنعة الكلام، ولما رأوا فيها من وسائل مساعدة لإيضاح فكرهم البلاغى والنقدى.

خامساً :معظم الصناعات العملية التى استعان بها النقاد والبلاغيون لبيان مواقفهم من صنعة الكلام هى صناعات تشبه صنعه الكلام فى كونها تتركب من أجزاء تحتاج إلى التأليف والترتيب والنظم والتنسيق على طريقة مخصوصة،ولذا كانت أكثر الصناعات التى استعانوا بها هى صناعة الجواهر والذهب والفضة.

سادسا :من أكثر البلاغيين والنقاد الذين استعانوا بالصور الصناعية لإيضاح أفكارهم البلاغية، ومواقفهم النقدية – خاصة فى مجال حديثه عن قضية النظم – هو الإمام عبد القاهر، فناظم الكلام عنده تاره كالبانى، وتاره كصانع الجوهر، وتارة كمروض الخيل،أو كصانع الطريق، أو كالنقاش إلى غير ذلك من الصور الصناعية التى استعان بها الإمام وهى كثيرة فى دلائله وأسراره.

سابعاً :تظهرعند الإمام عبد القاهر فكرة التطور والتوسع فى الاستعانة بالصور الصناعية، فبدأت تظهر عند النقاد بعد الجاحظ صور جديدة، كما رأينا عند ابن طباطبا، فقد ظهرت عنده صورة النقاش، واتسعت الصور عند الإمام فشملت صناعات كثيرة لم تكن عند سابقيه.

ثامناً :أدرك الإمام عبد القاهر بحسه المرهف، وذوقه الرفيع، وعبقريته الفرق بين المقاييس فى صنعة الكلام، والمقاييس فى الصناعات العملية، يدلل على ذلك قوله" : وإنا لنراهم يقيسون الكلام فى معنى المعارضة على الأعمال الصناعية، كنسج الديباج، وصوغ الشنف والسوار، وأنواع ما يصاغ، وكل ماهو

صنعة وعمل يد، بعد أن يبلغ مبلغا يقع التفاضل فيه، ثم يعظم حتي يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيت، ويدخل فى حد ما يعجز عنه الأكثرون" [١] ثم يقول" :وهذا القياس وإن كان قياسا ظاهراً معلوماً، وكالشئ المركوز فى الطباع، حتى ترى العامة فيه كالخاصة، فإن فيه أمراً يجب العلم به،وهو أنه يتصور أن يبدأ هذا فيعمل ديباجا ويبدع فى نقشه وتصويره، فيجئ آخر ويعمل ديباجا آخر مثله فى نقشه وهيئته وجملة صنعته،حتى لا يفصل الرائى بينهما..وليس يتصور مثل ذلك فى الكلام، لأنه لا سبيل إلى أن تجئ إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصنعته، وبعباره أخرى حتى يكون المفهوم من هذا هو المفهوم من تلك لا يخالفه فى صنعة ولا وجه ولا أمرمن الأمور" [٢]

هذه هى بعض النتائج التى رصدها البحث إضافة إلي النتائج الداخلية التى جاءت فى ثنايا البحث، إذ البحث فى مجمله نتيجة لما توصلت إليه الدراسة.

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٦١/١

(٢) المصدر نفسه٢٦١/١

قائمة المراجع

* الإتقان فى علوم القرآن، المؤلف عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى، تح محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م .
* أسرار البلاغة المؤلف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
* الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني، المعروف بالخطيب، تح عبد المنعم خفاجي، الناشر :دار الجيل بيروت الطبعة الثالثة.
* البرهان في علوم القرآن،المؤلف أبوعبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهاء الزركشي، تح محمد أبوالفضل إبراهيم، الناشر :دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولي ١٣٦٧هـ_ ١٩٥٧م.
* تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف محمد بن محمد بن عبدالرازق الحسيني، الملقب بالزبيدي، تح مجموعة من المحققين،الناشر :دار الهداية.
* تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المؤلف الدكتور إحسان عباس، الناشر دار الثقافة بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.
* تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المؤلف عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع البغدادي ثم المصري، تح

حفني محمد شرف، الناشر الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

* تهذيب اللغة، المؤلف محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور، تح محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي –بيروت،الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
* الحيوان المؤلف، عمرو بن بحر بن محبوب الكنائي،أبو عثمان الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية بيروت.
* دلائل الإعجاز، المؤلف أبوبكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى، تح، محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى بالقاهرة – دار المدنى بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ –١٩٩٢.م
* ديوان أبي تمام الطائي، شرح شاهين عطية، المكتبة الوطنية، المطبعة الأدبية ١٨٨٩م.
* ديوان بشار بن برد،جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور،طبعة وزارة الثقافة بالجزائر ٢٠٠٧م
* ديوان المتنبي، تح سليم إبراهيم، طبع برخصة وزارة المعارف، نمرو ١٨٤، المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم – صادر بيروت ١٩٠٠م.
* ديوان المتنبي،إخراج لجنة التأليف والترجمة والنشر، المصحح دكتور عبد الوهاب عزام،وأبو الفرج المنصوري، بدون طبعة.
* ديوان المرقشين،تح كرين، طبعة صادر بيروت، لبنان الطبعة الأولي ١٩٩٨م.
* ديوان النابغة، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م

* رسالة في تحقيق معني النظم والصياغة، المؤلف أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، تح حامد قنيبي طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٦هـ.
* سر الفصاحة، المؤلف أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، الناشر : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ_١٩٨٢ م.
* كتاب الصناعتين، المؤلف أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهم بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، تح علي محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، الناشر المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٩هـ.
* الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف يحيي بن حمزة علي بن إبراهيم الحسيني العلوي، الناشر المكتبة العصرية١٤٢٣هـ.
* عيار الشعر لابن طباطبا،محمدأحمد بن إبراهيم طباطبا الحسن العلوى،تح عبد العزيز بن ناصر المانع،مكتبة الخانجى القاهرة.
* في النقد الأدبي،المؤلف علي مصطفي صبح بدون طبعة.
* لسان العرب، المؤلف محمد بن مكرم بن علي، أبوالفضل جمال الدين بن منظور، الناشر دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف،ضياء الدين بن الأثير،تح أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، طبعة دار نهضة مصر.
* مفتاح العلوم، المؤلف يوسف بن أبي بكر بن محمد علي السكاكي، تح نعيم زرزور، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

* الموازنة بين أبي تمام والبحتري، المؤلف، أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدى، تح السيد أحمد صقر، الطبعة الرابعة، دار المعارف.
* النقد والبلاغة، المؤلف شكري محمد عياد، الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي ١٩٨٧م.
* نقد الشعر، المؤلف قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، مطبعة الجوائب _ قسطنطينية، الطبعة الأولي ١٣٠٢ هـ.
* الوساطة بين المتنبي وخصومه، المؤلف أبوالحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تح، محمد أبوالفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسي البابي الحلبي.